المحاضرة السابعة: مستوى التحليل التركيبي (2): التركيب الفرعي (قواعد الترتيب، والحذف التوسيع)

تمهيد:

سبق أن حددنا التركيب الأصلي-وإن لمسنا اختلافًا بين اللغويين وفقًا لمنطلقاتهم المعرفية والمنهجية- إلا أن مستعمل اللغة قد يعدل عن ذلك الأصل إلى تراكيب أخرى يستدعيها الموقف الكلامي بما يتضمنه من أغراض مختلفة، فيعدل عن الترتيب الأصلي للمسند والمسند إليه بتقديم ما أصله التأخير وفقا لقواعد اللغة، كما يعدل عن ذكر أحدهما بحذفه، أو بتوسيع التركيب بجعل أحد ركنيه جملة أو بإضافة عناصر متممة كالنعت والتوكيد...

أ-الترتيب:

إن أصل التراكيب أن يُذكر المسند إليه ثم المسند في الجملة الاسمية، والمسند ثم المسند إليه في الفعلية إلا أننا قد نخرج عن هذا الأصل بتقديم عنصر على آخر في إطار الجوازات النحوية. يقول السيوطي في همع (الهوامع): "أذا علم ما يجب فيه تأخير الخبر ويمنع علم أن ما عداهما يجوز فيه التقديم."

أمثلة:

قوله تعالى: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ (القدر/5)

وقوله: ﴿وآية لهم الليل﴾(يس/37) تقدم الخبر في الآيتين. والحقيقة إن ذلك منوط بمقاصد المتكلم؛ إذ يكون التقديم للعناية والاهتمام كما ذكر سيبويه وأكده الجرجاني.

والتقديم ليس حكرا على المسند والمسند إليه وإنما يمس أيضا العناصر غير الإسنادية كقوله تعالى: ﴿في أي صورة ما شاء ركّبك﴾ الانفطار/8 تقدمت المتممات على الفعل والفاعل: ركبك؛ اهتماما بهيئة التركيب أو صورته.

ب-الحذف: الأصل في التركيب ذكر عنصري الإسناد إلا أن الحذف قد يلحق أحدهما أو كليهما بدليل؛ أي بقرينة. والحذف من شجاعة العربية كما ذكر ابن جني. ومن أمثلته: قوله تعالى:

﴿قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض﴾ (الشعراء/23-24)

فقد حذف المبتدأ للإيجاز ومسوّغ الحذف دلالة السياق عليه وتقديره (هو) أي هو رب السماوات والأرض.

﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ (لقمان/25) فقد حذف الفاعل والمفعول والتقدير: خلقهن الله.

ج-التوسيع: تعتبر الجملة قصيرة إذا اكتفت بعنصري الإسناد إلا أنها قد تطول إما بجعل أحد العنصرين مركبا؛ أي جملة كقوله تعالى: ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ (البقرة/184) فقد جاء المبتدأ مصدرا مؤولا. مثاله أيضا قوله تعالى: ﴿الله يبدأ الخلق﴾ (الروم/11)

وإما بإضافة المتممات كما في قوله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ (الحديد/16). فقد تم توسيع الجملة الأصلية بواسطتين؛ الأولى بجعل الفاعل مصدرا مؤولا (أن تخشع)؛ إذ تقديره: خشوع. والثانية بإضافة الجار والمجرور والعاطف ــ الواو ــ والمعطوف الذي جاء مصدرا مؤولا بدوره.

إن الحديث عن التقديم وأسراره البلاغية طويل يضيق المقام عن تتبعه ولمبتغييه العودة إلى كتب البلاغة.